الدلالات العقدية المتعلقة بخلق الإنسان الواردة في القرآن الكريم

أ. عيشة بنت عبد القادر الشاطر*, أ.د. عائشة بنت محمد القرني**

سلم البحث في ١٤٤٧/٧/١٢هـ بسم الله الرحمن الرحيم اعتمد للنشر في ١٤٤٧/٨/١٤هـ

ملخص البحث:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين. أما بعد: فهذا البحث دراسة عقدية (استقرائي تحليلي) يتناول "الدلالات العقدية المتعلقة بخلق الإنسان الواردة في القرآن الكريم"، وقد احتوى البحث على مقدمة، وخمسة مباحث، وخاتمة، المبحث الأول: تعريف الخلق في اللغة والاصطلاح، والمبحث الثاني: الخلق في القرآن الكريم، والمبحث الثالث: مراحل خلق الإنسان، والمبحث الرابع: الدلائل العقدية لخلق الإنسان، والمبحث الخامس: المخالفات العقدية المتعلقة بخلق الإنسان، وخاتمة: تضمنت على أهم النتائج والتوصيات. وقد اقتصرت في البحث على ذكر الدلالات العقدية الواردة في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ.

ومن أهم نتائج البحث:

- إن مفهوم الخلق في القرآن الكريم لا يقتصر على مجرد الإيجاد من العدم, بل يشمل التقدير المحكم، والتسوية التامة، والتصوير, وقد يدل على المخلوق.
- بيان تنوع الدلالات العقدية في الآيات المتعلقة بخلق الإنسان. إن أصل خلق الإنسان يرجع إلى آدم عليه السلام، والذي خلقه الله تعالى بديه الكريمتين من تراب الأرض.

وفي ختام البحث كانت التوصية: الاهتمام بدراسة البعد العقدي للآيات المتعلقة بالإنسان فهي وسيلة إلى زيادة الإيمان بالله تعالى، ووسيلة إلى تحصيل العلوم الدينية والدنيوية.

Abstract:

Praise be to God, Lord of the Worlds, and prayers and peace be upon the Seal of the Prophets and Messengers. Now then: This research is a doctrinal study (inductive and analytical) that deals with "the doctrinal indications related to the creation of man mentioned in the Holy Quran." The research contained an introduction, five topics, and a conclusion. The first topic: Definition of creation in language and terminology, the second topic: Creation in the Holy Quran, the third topic: Stages of the creation of man, the fourth topic: Doctrinal indications of the creation of man, the fifth

* باحثة بقسم الشريعة والدراسات الإسلامية مسار عقيدة ودعوة, كلية الآداب والعلوم الإنسانية, جامعة الملك عبد العزيز, المملكة العربية السعودية.

** الأستاذ بقسم الشريعة والدراسات الإسلامية تخصص العقيدة والدعوة, كلية الآداب والعلوم الإنسانية, جامعة الملك عبد العزيز, المملكة العربية السعودية.

topic: Doctrinal violations related to the creation of man, and a conclusion: It included the most important results and recommendations. I limited my research to mentioning the doctrinal implications contained in the Book of God.

The most important results of the research are:

The concept of creation in the Holy Qur'an is not limited to mere creation from nothing, but rather includes precise estimation, complete settlement, and depiction, and may indicate a creature.

- Explaining the diversity of doctrinal connotations in verses related to human creation. The origin of the creation of man goes back to Adam, whom God Almighty created with His two noble foreheads from the dust of the earth.

At the end of the research, the recommendation was: to focus on studying the doctrinal dimension of the verses related to man, as they are a means to increase faith in God Almighty, and a means to acquire religious and worldly sciences.

المقدمة:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره, ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله, و صحبه والتابعين له إلى يوم الدين, أما بعد:فإن من أعظم آيات الله التي وردت في كتاب الله عز وجل, هي آية خلق الإنسان, وهو من القضايا المهمة, وقد أولى القرآن الكريم هذا الموضوع عناية خاصة، حيث عرض أطوار الخلق ومراحله بلغة دقيقة تجمع بين البيان الإلهي المعجز , والدلالات التي تؤسس في النفس رؤية متكاملة عن حقيقته ووظيفته في الحياة الدنيا. ومن هنا، فإن دراسة خلق الإنسان لا تقتصر على معرفة مفهومه وتكوينه فحسب، بل تمتد لتشمل ما يترتب عليه من معان عقدية مختلفة. وبناء على ذلك، فقد تم اختيار موضوعي بعنوان (الدلالات العقدية المتعلقة بخلق الإنسان الواردة في القرآن الكريم)

مشكلة البحث:

الإجابة عن جملة من الأسئلة الوجودية الكبرى التي تتعلق بأصل الإنسان، وحكمة خلقه, وغاية وجوده، ومصيره, كما يقررها القرآن الكريم من خلال الآيات المتعلقة بخلق الإنسان.

أهمية موضوع البحث وأسباب اختياره:

- تضمنه أبعاد عقدية وعلمية ترتبط بأصل الوجود وغايته
- بيان حكمة الله تعالى وكمال قدرته وقيوميته في الإنسان وفي الخلق جميعا.
- كونه مجالاً خصباً لكثير من المخالفات العقدية والشبهات المتعلقة بأصل الإنسان

ونشأته، مما يستلزم بيان الموقف العقدي الصحيح منها.

أهداف البحث:

– بيان الدلالات العقدية المتضمنة للآيات الواردة بذكر خلق الإنسان، مع ذكر أهم المخالفات العقدية المنتشرة حول هذا الموضوع.

حدود البحث:

– ذكر الدلالات العقدية الواردة في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ.

منهج البحث:

– اتبعت المنهج الاستقرائي في تتبع آيات خلق الإنسان، والمنهج التحليلي في استنباطات الدلالات العقدية.

مخطط البحث:

المبحث الأول: تعريف الخلق في اللغة والاصطلاح

المبحث الثاني: الخلق في القرآن الكريم:

المبحث الثالث: مراحل خلق الإنسان

المبحث الرابع: الدلائل العقدية لخلق الإنسان

المبحث الخامس: المخالفات العقدية المتعلقة بخلق الإنسان

المبحث الأول: تعريف الخلق في اللغة والاصطلاح

أولاً: الخلق في اللغة:

–بسكون اللام وفتحها – له عدة معان من أهمها:

أولاً: تقدير الشيء[١]، يقال: خلقت الأديم، إذا قدرته لما تُريد قبل القطع. ومنه قول زهير[٢]:

وَلأَنْـــتَ تَفْـــرِي مـــا خَلَقْـــتَ وَبَعْـــ ـــضُ القَـــوْمِ يخْلُـــقُ ثـــمَّ لا يَفْـــرِي

---

(١) انظر: الجوهري، الصحاح، باب (القاف) فصل (الخاء) مادة (خلق), ١٤٧٠/٤؛ الزبيدي، تاج العروس، باب (القاف) فصل (الخاء) مادة (خلق), ٢٥١/٢٥؛ ابن فارس، مقاييس اللغة، كتاب (الخاء) باب (الخاء واللام وما يثلثهما) مادة (خلق)، ٢١٣/٢؛ ابن منظور، لسان العرب، كتاب (القاف) فصل (الخاء) مادة (خلق)، ٨٥/١٠،٨٧.

(٢) زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رياح المزني، من مضر: حكيم الشعراء في الجاهلية. وفي أئمة الأدب من يفضله على شعراء العرب كافة. قال ابن الأعرابي: كان لزهير في الشعر ما لم يكن لغيره، وكأن الشعر متوارثا في عائلته فأبوه شاعرا، وابناه كعب وبجير شاعرين. ولد في بلاد (مُزَينة) بنواحي المدينة، وكان يقيم في الحاجر (من ديار نجد) واستمر بنوه فيه بعد الإسلام. قيل: كانت قصائده تسمى (الحوليّات) ؛لأنه ينظم القصيدة في شهر وينقحها سنة، أشهر شعره معلقته التي مطلعها: (أمن أم أوفى دمنة لم تكلم), له ديوان ترجم كثير منه إلى الألمانية. توفي سنة ١٣ق.هـ . انظر: الزركلي، الأعلام,٥٢/٣؛ عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين, ١٨٦/٤.

ثانياً: الصنع والإيجاد والإنشاء من العدم [1]، قوله تعالى: +هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا _ [سورة البقرة:٢٩]. ومنه حديث سلمان ﷺ عن رسول الله ﷺ: "إن الله خلق يوم خلق السماوات والأرض مائة رحمة"[2] ؛ أي أوجد .

ثالثاً: ملاسة الشيء وتسويته[3] يُقال: خَلَقَ الشيء خَلْقاً: مَلَّسَه ولَيَّنَه. والخلْق مصدر خَلَقَ يُطلق على الناس والمخلوق وكل ما هو مُملَّس[4] ، مثل قول الله تعالى: + إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ _ [سورة إبراهيم:١٩]، ومثل حديث أبو ذر ﷺ عن رسول الله ﷺ في الخوارج: "هم شر الخلْق والخليقة"[5].

من خلال ما سبق يمكن القول بأن أصل لفظ "الخلق" يدل على التقدير والتسوية، لا مجرد الإيجاد والإنشاء. كما أن لفظ "الخَلْق" لا يُعبّر فقط عن الفعل خَلَقَ بل يتعدى ذلك إلى أثره المخلوق.

وأما في الاصطلاح: فالمقصود بخلق الإنسان في هذا المبحث: إيجادُ الله تعالى للإنسان من العدم، ثم نقله في أطوارٍ مقدَّرة، وتصويره في أحسن هيئة، وفق علم سابق ومشيئة نافذة وحكمة مقدرة . فالخلق الإلهي مطلقٌ في الإيجاد والإبداع من العدم ، أما الخلق الإنساني فمحدود في نطاق التصوير والتقدير، ومن ثمّ اختصّ اسم "الخالق" بالله تعالى وحده، ولم يُطلق على غيره إلا مقيّدًا ومجازًا، والخَلق هو صفة فعلية قائمة بذات الله تبارك وتعالى متعلقة بقدرته ومشيئته، وليس شيئاً موجوداً إلا الله خالقه[6].

المبحث الثاني: الخلق في القرآن الكريم

ورد لفظ الخلق في القرآن الكريم بعدة معان، تدور حول ثمانية أوجه رئيسية بينها العلماء، وهي:

---

(1) انظر: الزبيدي،تاج العروس، باب (القاف) فصل (الخاء) مادة (خلق), ٢٥١/٢٥؛ ابن منظور، لسان العرب، كتاب (القاف) فصل (الخاء) مادة (خلق)، ٨٥/١٠.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: التوبة، باب: في سعة رحمة الله تعالى، ح(٢٧٥٣)، ٩٦/٨.

(3) انظر: الزبيدي،تاج العروس،باب (القاف) فصل (الخاء) مادة (خلق), ٢٥٢/٢٥- ٢٥٣؛ ابن فارس، مقاييس اللغة، كتاب (الخاء) باب (الخاء واللام وما يثلثهما) مادة (خلق)، ٢١٣/٢؛ ابن منظور، لسان العرب، كتاب (القاف) فصل (الخاء) مادة (خلق)، ٩٠/١٠ .

(4) انظر: الجوهري، الصحاح، باب (القاف) فصل (الخاء) مادة (خلق), ١٤٧١/٤؛ الزبيدي،تاج العروس، باب (القاف) فصل (الخاء) مادة (خلق), ٢٥٤/٢٥؛ ابن منظور، لسان العرب، كتاب (القاف) فصل (الخاء) مادة (خلق)، ٨٦/١٠.

(5) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الزكاة، باب: الخوارج شر الخلق والخليقة، ح(١٠٦٧), ٧٥٠/٢.

(6) انظر: آمال العمرو، الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية، ص١٧٣. ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٢٢٨/١٨. الزجاج، تفسير أسماء الله الحسنى، ص٣٦-٣٧.

الوجه الأول: الاختراع والايجاد [١]، ومنه قوله تعالى: +خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ _ [سورة الزمر:٥]؛ "أي:أبدعهما واخترعهما على غير مثال"[٢] . ويرد أيضا في إيجاد الشيء من الشيء[٣]، مثل قوله عزّوجل: +يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ _ [سورة النساء:١].

الوجه الثاني: التصوير[٤]، ومنه قوله تعالى: +ۖ وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ _ [سورة المائدة:١١٠]، وقوله تعالى: + لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ _ [سورة النحل:٢٠].

الوجه الثالث: الجعل [٥]، ومنه قوله تعالى: + وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا _ [سورة النساء:١]، وقوله تعالى: {وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡۚ _ [سورة الشعراء:١٦٦]. أي: جعل لكم .

الوجه الرابع: الدين[٦]، ومنه قوله تعالى: +_وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ _ [سورة النساء:١١٩]، وقوله تعالى: + فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ _ [سورة الروم:٣٠].

الوجه الخامس: الموت [٧]، قوله تعالى: +قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ٥٠ أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ _ [سورة الإسراء:٥٠-٥١]، أي "الموت، فإنه ليس في نفس ابن آدم شيء أكبر من الموت"[٨].

الوجه السادس: النطق[٩]، في قوله تعالى: +وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ _ [سورة فصلت:٢١]،يعني أنطقكم أول مرة من قبلها في الدنيا.[١٠]

---

(١) انظر: ابن الجوزي، نزهة الأعين، ص٢٨٤. الطبري، جامع البيان، ١٧٧/١٢. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢٥١/١.

(٢) الشوكاني، فتح القدير، ١٣٢/٣.

(٣) انظر: الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص ٢٩٦.

(٤) انظر: ابن الجوزي، مرجع سابق، ص٢٨٤. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢٠٠/٣.

(٥) انظر: ابن الجوزي، مرجع سابق، ص٢٨٤. الطبري، مرجع سابق، ٣٤٢/٦.

(٦) انظر: ابن الجوزي، مرجع سابق، ص٢٨٥؛ الطبري، جامع البيان، ٢١٨/٩؛ مجاهد بن جبر، تفسير مجاهد، ص٢٩٢.

(٧) انظر: البغوي، معالم التنزيل, ٩٨/٥؛ ابن الجوزي، مرجع سابق، ص٢٨٥؛ الطبري، جامع البيان, ٤٦٣/١٧؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢٧٤/١٠.

(٨) البغوي، معالم التنزيل, ١٣٨/٣.

(٩) انظر: ابن الجوزي، مرجع سابق، ص٢٨٤؛ مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل بن سليمان، ٧٤٠/٣.

(١٠) انظر: مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل بن سليمان، ٧٤٠/٣.

الوجه السابع: المخلوقات [1]، كما في قوله تعالى: +هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ _ [سورة لقمان:١١]، ما ذكر من خلق السماوات والأرض، وما بث من الدواب، وما أنبت من كل زوج كريم.

وبذلك يتبيّن أن معاني الخلق في القرآن الكريم، على تفرّعها وتنوّعها، ترجع جميعها إلى أصلٍ واحد جامع هو التقدير والإبداع الإلهي في الإيجاد والتسوية، فتنوعت مظاهر الخلق وتعددت صوره، بينما ظلّ جوهره واحدًا يدل على الإحكام والإتقان الرباني في الخلق والتكوين.

غير أن لفظ الخلق قد يُنسب أحيانًا إلى الإنسان، لا على سبيل الحقيقة المطلقة، بل على وجه التقييد والمجاز، كما في قوله تعالى: + وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي _ [سورة النحل:١٧]، أي تُصوّر وتشكّل بإذن الله، فكان فعله تصويرًا وتقديرًا في مادةٍ مخلوقة، أو التحويل من حالة إلى حالة أخرى وليس إيجادًا من العدم. [2]

المبحث الثالث: مراحل خلق الإنسان

من براهين العقيدة الدالة على انفراد الله تعالى بالخلق والتدبير، أنه خلق الإنسان من أصل واحد هو التراب، قال تعالى: +_وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ _ [سورة الروم:٢٠]، وقال تعالى: + مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ } [سورة طه:٥٥]، وقال عز وجل: {وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا _ [سورة نوح:١٧].

اختلف المفسرون في المراد من كاف الخطاب في قوله تعالى: ﴿أن خَلَقَكُم﴾، وقوله: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ﴾ ، وقوله عز وجل: ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم ﴾ على ثلاثة أقوال رئيسية:

القول الأول: المقصود أن الله تعالى خلق أصل الإنسان من الأرض، أي أن آدم عليه السلام خُلق منها[3]، ومن ثَمّ فإن ذريته خُلقت منها تبعًا له.ودليل هذا القول قوله سبحانه :+إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ _ [سورة آل عمران:٥٩]، فكما أن أصل آدم عليه السلام من التراب، فأبناؤه مخلوقون منه على جهة التبع؛ إذ هم من نسله، فأُطلق عليهم أنَّهم مخلوقون من تراب؛ لأن أصلهم الأول كذلك. وهذا الاستعمال وارد على سبيل التغليب والاتساع في اللفظ، إذ يُنسب الفرع إلى أصله، فيقال: "خُلق الناس من تراب" أي باعتبار أصلهم الأول آدم عليه السلام، ولذلك فإن الإنسان،

---

(1) انظر: البغوي، معالم التنزيل, ١٥٠/٤؛ الطبري، مرجع سابق، ١٣٤/٢٠؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن،٢٤٨/١٦.

(2) انظر:ابن عاشور، التحرير والتنوير,٣٢٧/١-٣٢٨؛الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز, ٥٦٦/٢.

(3) انظر: البغوي، معالم التنزيل، ٢٧٨/٥؛ الزجاج، معاني القرآن، ٣٥٩/٣؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢٦٣/٥؛ ابن عثيمين، مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين، ١٤٥/٦؛ محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان، ٧٩٧/٧.

وإن لم تتكون فطرته مباشرة من التراب، إلا أن مادته الأولى منحدرة من تلك المادة التي خُلق منها أبو البشر، فكان خلق آدم عليه السلام منها خلقاً للكل.[١]

القول الثاني: المقصود أن الله تعالى خلق أصل الإنسان من الأرض، أي أنه مخلوق من النطفة المتولدة عن الأَغذية التي نبتت ونمت في تراب الأرض الممتزج بالماء، فبذلك يعود جميع البشر في أصل مادتهم إلى التراب، فكأن قوله تعالى :﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ﴾ يشير إلى هذا الأصل الذي تنحدر منه سلسلة الإمداد الحياتي.[٢]

القول الثالث: أن معنى خلقهم من تراب أن النطفة إذا وقعت في الرحم انطلق الملك الموكل بالرحم فأخذ من تراب المكان الذي يدفن فيه فيذره على النطفة فيخلق الله النسمة من النطفة، والتراب معا.[٣] واستدلوا بأدلة، منها: حديث أبي هريرة ﷺ قال، قال رسول الله ﷺ: «ما من مولود إلا وقد ذر عليه من تراب حفرته»، [٤] وحديث أبي سعيد الخدريﷺ، قال: مر النبي ﷺ بجنازة عند قبر فقال: «قبر من هذا؟» فقالوا: فلان الحبشي يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «لا إله إلا الله لا إله إلا الله سيق من أرضه وسمائه إلى تربته التي منها خلق»[٥]وعن ابن عباس :ﷺ" يُدفن كل إنسانٍ في التربة التي خُلق منها"[٦].

وهذا القول فيه نظر؛ لأن القرآن الكريم دلّ على أن مرحلة النطفة تأتي بعد مرحلة التراب بفاصلٍ زمني، إذ جاء التعبير عنها بلفظ «ثم» الذي يفيد التراخي والمهلة، مما يدل على الترتيب بين المرحلتين وعدم اقترانهما[٧]، كما في قوله تعالى: +يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ _ [سورة الحج:٥]، وقوله تعالى: +هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ _ [سورة غافر:٦٧]. وقوله

---

(١) انظر: أبو السعود. إرشاد العقل السليم، ٢٢/٦؛ محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان، ٧٩٧/٧.

(٢) انظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ٢٢/٦؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢١٠/١١.

(٣) انظر: الألوسي، روح المعاني, ٥٢٠/٨؛ أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ٢٢/٦؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢١٠/١١. السيوطي، الدر المنثور، ٥٨٤/٥.

(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية,باب: ابن سيرين, ٢٨٠/٢. وقال: "هذا حديث غريب من حديث ابن عون، عن محمد لم نكتبه إلَّا من حديث أبي عاصم النَّبيل عنه، وهو أحد الثقات الأعلام من أهل البصرة".

(٥) أخرجه النيسابوري في المستدرك على الصحيحين، كتاب: الجنائز، ح(١٣٥٦)، ٥٢١/١. وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد" . قال الألباني ﷺ:"فالحديث عندي حسن بمجموع طرقه". انظر: الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٤٧٤/٤.

(٦) أخرجه عبدالرزاق في المصنف، كتاب: الجنائز، باب: يدفن في التربة التي منها خلق، ح(٦٧٣٣)، ٢٣٥/٤. أخرجه العقيلي في الضعفاء، ح(١١٧٥), ١٨٠/٣.

(٧) انظر: محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان، ٥٣٠/٤- ٥٣١.

عزّ وجل: +وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ _ [سورة المؤمنون:١٢] ومن ثَمَّ، فإن ظاهر الآيات يدل على مخالفة هذا القول الدال على خلط التراب بالنطْفة، كما أن الحديث الأول الذي رواه أبو هريرة ضعيف، بل قيل ببطلانه[١]، وحديث الحبشي ليس في معناه ما يدل على خلط التراب بالنطْفة ، وأثر ابن عباس ﷺ في سنده راوٍ ضعيف، [٢] ومثل هذا القول لا يُعتدّ به إلا بعد ثبوت الأحاديث والآثار الواردة فيه؛ لأنه من أمور الغيب التي لا تُقبل إلا بدليلٍ صحيح.

والقول الأوّل هو الأَولى بالصحة؛ لما دلَّت عليه الآيات والأحاديث من أنَّ آدم عليه السلام خُلق من التراب مباشرة، فكان أصل خلق بني آدم كلهم من تراب، كما أخبرنا الله عز وجل بأنه خلق جميع البشر من نفسٍ واحدةٍ، فقال جلّ في علاه: +وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ فَمُسۡتَقَرّٞ وَمُسۡتَوۡدَعٞۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَفۡقَهُونَ _ [سورة الأنعام:٩٨]، "قال جمهور المفسرين: المراد بالنفس الواحدة آدم"[٣]، فآدم عليه السلام هو أبو البشرية، ولقد مر خلقه عليه السلام بعدة مراحل وأطوار، أخبر عنها المولى تبارك وتعالى في كتابه الكريم؛ وهي كما يلي:

أ- مرحلة الخلق من تراب:

وهذه هي أولى مراحل خلق آدم عليه السلام صرح بها المولى تبارك وتعالى في قوله: +_إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ _ [سورة آل عمران:٥٩]. وكما في قوله تعالى: +وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ _ [سورة الروم:٢٠]، وقوله تعالى: +هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ _ [سورة غافر:٦٧]، وغيرها من الآيات الدالة على أصل الخلق، حيث يتضح منها أن التراب هو مادة الخلقة الإنسانية، في دلالة على بساطة الأصل وعظمة الخالق، كما يظهر من هذا الأصل الترابي حكمة الله في أن ينقل الإنسان من أبسط المواد إلى أشرف المراتب.

وقد جاءت السنة النبوية مؤكدة لهذا المعنى، حيث روى أبو موسى الأشعرى ﷺ،أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك، والسهل والحزن والخبيث

---

(١) انظر: الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، ٣٨٨/١١.

(٢) في سنده عمر بن عطاء بن وراز وهو ضعيف الحديث، ضعفه أحمد بن حنبل وابن معين والنسائي. انظر: أحمد بن حنبل، العلل ومعرفة الرجال، ٣١٦/٣؛ ابن معين، تاريخ ابن معين، ٩٨/٣ ؛ النسائي، الضعفاء والمتروكون، ص٨١.

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٣٣٧/٧.

والطيب»[١]. ويُفهم من هذا الحديث أن أصل خلق الإنسان من تراب هو الأساس الذي ترتب عليه تنوع بني آدم في ألوانهم وطباعهم؛ تبعًا لاختلاف عناصر الأرض التي خُلق منها آدم عليه السلام. ثم تدرّج الخلق بعد هذه المرحلة إلى طور آخر من أطوار التكوين التي ذكرها الله تعالى في كتابه.

ب- مرحلة الخلق من الطين:

وهذه هي المرحلة الثانية من مراحل خلق آدم عليه السلام، صرّح بها المولى تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في قوله: +وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا _ [سورة الإسراء:٦١]، وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: +إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ _ [سورة ص:٧١]، وقوله عَزَّوَجَلَّ: +ٱلَّذِيٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ _ [سورة السجدة:٧]، فالله تعالى عجن التراب بالماء فصار طينا، وقد وُصف هذا الطين باللزوب قال تعالى: +فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ _ [سورة الصافات:١١]، وإنما وصفه تعالى باللزوب؛ لأن التراب إذا خلط بالماء صار طينًا لازبًا شديد الالتصاق والثبات[٢].

ج- مرحلة الحمأ المسنون:

وهي المذكورة في قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: +وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ _ [سورة الحجر:٢٦]، **فالحمأ**: جمع الحمأة، وهو عبارة عن: طين أسود متغير الرائحة من طول مجاورته للماء ؛ ومن ذلك قوله تعالى: +وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ _ [سورة الحجر:٢٨]، يعني: ذات حمأ[٣].

وأما "المسنون" ففي تفسيره أقوال؛ منها:

- المصوَّر، مأخوذ من سُنَّة الوجه وهو صورته.
- المصبوب، من سننت الماء وغيره على الوجه إذا صببته.
- المنصوب القائم، من قولهم: وجه مسنون، إذا كان فيه طول[٤].

د- مرحلة الصلصال الذي هو كالفخار:

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه, أبواب تفسير القرآن، باب: ومن سورة البقرة، ح(٢٩٥٥)، ٢٠٤/٥. أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: السنة، باب: في القدر، ح(٤٦٩٣)، ٧٨/٧. واللفظ للترمذي. قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

(٢) انظر: الطبري، جامع البيان , ٥١٠/١٩- ٥١١ .

(٣) انظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن,ص ٢٥٩.

(٤) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢٢/١٠-٢٣.

وهي التي ذكرها الله تعالى في قوله: +خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ _ [سورة الرحمن: ١٤]، الصلصال: الطين الحر خلط بالرمل فصار يتصلصل إذا جف، أي يتردد الصوت بداخله [١].

فالمراد من الآية الكريمة: أنه -جل ذكره- يقول: خلق الله الإنسان - وهو آدم- من صلصال؛ وهو الطين اليابس الذي لم يطبخ، فإنه من يبسه له صلصلة إذا حرك ونقر كالفخار، الذي قد طبخ بالنار، فهو يصلصل كما يصلصل الفخار [٢].

هـ- التسوية ونفخ الروح:

وهي المرحلة التي أخبر عنها المولى –عز وجل– بقوله: +وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ۝٢٨ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ _ [سورة الحجر: ٢٨-٢٩]، وقوله -تبارك وتعالى-: +إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ۝٧١ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ _ [سورة ص: ٧١-٧٢].

والتسوية هنا يقصد بها: التقويم، والتعديل، والإتقان، والإتمام، وإصلاح الشيء وتهيئته لما خلق من أجله [٣].

وأما نفخ الروح المذكور في قوله تعالى: + فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ _ فالمقصود بالروح هو: ذلك الجسم اللطيف، الذي أجرى الله تعالى العادة بأن تكون حياة الأبدان مع وجوده. وأما إضافته إلى الذات الإلهية فإنما هي إضافة تشريف وتكريم، وهو من باب إضافة الخلق إلى خالقه؛ لأن الروح مخلوق من مخلوقات الله تعالى [٤].

ومما لا شك فيه أن الله تعالى لا يقدّر أمراً ولا يخلقه إلا لحِكَم بالغة، فهو الحكيم جلّ جلاله، والحكمة من صفاته العظيمة، غير أن الله سبحانه لم يطلع عباده على جميع الحِكَم فيما قدّره أو شرعه، فالشريعة تأتي بما قد تحتار فيه العقول لا بما تستحيله، والمسلم يوقن يقيناً جازماً بأن أمر الله تعالى نافذ، فإذا أراد شيئاً مهما عظم، قال له: "كن"، فيكون، كما في قوله عز وجل: +أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُم

---

(١) انظر: الجوهري، الصحاح, باب (اللام) فصل (الصاد) مادة (صلل), ١٧٤٥/٥. الراغب الأصفهاني، مرجع سابق,ص ٤٨٨.

(٢) انظر: الطبري، جامع البيان، ١٩١/٢٢.

(٣) انظر: الطبري، جامع البيان,١٤٤/٢٠.

(٤) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢٤/١٠؛ الألوسي، روح المعاني، ٢٠٠/٣.

بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ـ [سورة يس: ٨١-٨٢].

وهاتان الآيتان نزلتا في سياق الحديث عن خلق السماوات والأرض وخلق البشر، وفي ذلك بيان لعظمة قدرة الله، وأنه لا يعجزه شيء من الخلق، فإذا شاء وجود أمر قال له: "كن"، فيكون.[١]

فإذا أخبرنا سبحانه أنه خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، أيقنَّا بأن في ذلك حِكماً عظيمة، وكذلك حين خلق أبانا آدم عليه السلام لم يوجده بكلمة "كن" مباشرة، وإنما شاء أن يخلقه في أطوار، وكل ذلك لحِكَم جليلة يعلمها سبحانه، ويقف عندها العبد مؤمناً مسلِّماً. ويمكن استنباط عدة حكم، من ذلك:

١- أن الله تعالى خلق آدم عليه السلام من التراب والطين؛ لإظهار عظيم قدرته، وعجيب صنعه إذ أخرج من هذا التراب المهين خلقاً آخر كرّمه وجعله خليفة في الأرض.[٢]

٢- أنه لما كان الإنسان معمرًا للأرض، وهي بطبيعتها مختلفة فيها السهول والجبال والأودية وغيرها من الاختلافات المكانية والمناخية ناسب أن يكون خلقهم من مادة تحوي ذلك كله، كما أنه باختلاف حال الخلق اختلف أصل خلقتهم ، فالتراب يختلف من مكان لآخر وهذا هو حال الإنسان[٣]، وهو ما بينه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: «إن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك، والسهل والحزن والخبيث والطيب»[٤].

٣- أن من مظاهر تكريم الله لبني آدم أن خلق أباهم آدم عليه السلام بيده الكريمة ، وخصه بذلك عن سائر الخلق ،[٥] قال تعالى: +قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ـ [سورة ص:٧٥].

وهكذا جاءت آيات القرآن الكريم محكمة في بيان تسلسل خلق آدم أبي البشر ﷺ فلما تمّ خلق آدم ﷺ ، خلق الله عَزَّوَجَلَّ منه زوجه حواء؛ وهذا بيّن جليّ في قوله تعالى: +يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ـ [سورة النساء:١].

---

(١) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم, ٣٩٩/١.
(٢) انظر: ٤٢/١٤.
(٣) انظر :المباركفوري، تحفة الأحوذي، ٢٣٤/٨ .
(٤) سبق تخريجه
(٥) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٣٦٦/٤؛ أبو حيان، البحر المحيط، ٨٥/٧.

فالمقصود بالنفس الواحدة: آدم أبو البشر –عليه السلام–، والمقصود بزوجها هنا: حواء، وهي أول أنثى تناسل منها البشر، وإنما أطلق عليها هنا اسم "الزوج" لأن الرجل يكون منفردًا، فإذا اتخذ امرأة، فقد صار زوجًا في البيت، فكل واحد منهما زوج للآخر من هذا الاعتبار[1].ثم خُلقت حواء من آدم كما في قوله تعالى: +يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا _ [سورة النساء:١]، ثم بعد ذلك كانت طريقة تناسل البشر

فالله جل وعلا جعل خلق الإنسان على أربعة أنواع:

- النوع الأول: خُلق لا من ذكر ولا من أنثى، وهو آدم عليه السلام.
- النوع الثاني: خُلق من ذكر دون أنثى، وهي حواء .
- النوع الثالث: خُلق من أنثى دون ذكر، وهو عيسى عليه الصلاة والسلام.
- النوع الرابع: خُلق من ذكر وأنثى، وهم بقية البشر .[2]

وقد وصف النبي ﷺ خلق حواء ونص على أنه كان من نفس آدم – عليه السلام– ومن بضعة من جسده، وتحديدًا من ضلعه؛ وذلك كما في حديث أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ: "استوصوا بالنساء، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء»[3] .

ثم بعد ذلك جرت مشيئة الله تعالى أن يخلق من آدم وزوجه حواء سائر ذريتهما؛ وذلك من خلال التزاوج بينهم، فكانت مرحلة الخلق في الأرحام بعد ذلك، وأطوارها التي تكلم عنها القرآن بشيء من التفصيل الدقيق المعجز، والذي لم يكن يطلع عليه أحد في زمان النبي – صلى الله عليه وسلم– وحتى عصر قريب من عصرنا الحديث.

وهذه هي مرحلة تكوين الأجنة التي ذكرها الله تعالى في أكثر من موضع في كتابه العزيز، تارة على سبيل الإشارة، وتارة على سبيل التصريح؛ فمن ذلك قوله تعالى: +خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ _ [سورة الزمر:٦]، وقوله تعالى: +مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ

([1]) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢١٦/٤.

([2]) انظر: ابن تيمية، الجواب الصحيح, ٥٤/٤؛ محمد الأمين الشنقيطي، العذب النمير، ٧/٢.

([3]) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: خلق آدم صلوات الله عليه وذريته ح (٣٣٣١), ١٣٣/٤.

وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا _ [سورة نوح:١٣-١٤]. وقد ذهب جمهور المفسرين[1] إلى أن هذه الأطوار التي أشار الله سبحانه وتعالى إليها في قوله: + وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا _ والتي صرح فيها بأنها تُخلق في الأرحام خلقًا من بعد خلق - كما في الآية قبلها- إنما يُقصد بها مراحل تكوين الأجنة في الأرحام، والتي جاءت مفصَّلةً في قوله تعالى: +يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ _ [سورة الحج:٥]. وقوله تعالى: +وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ _ [سورة المؤمنون:١٢-١٤].

فقد فصّل المولى تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في هاتين الآيتين الكريمتين مراحل خلق الإنسان وتطوره منذ أن يكون مجرد نطفة، حتى يتشكل ويصبح على هيئة الجنين المعروفة، ثم يولد ويصبح إنسانًا، ثم يمر بمراحل النمو المختلفة من الطفولة إلى الشيخوخة، ثم يدركه الموت، بقضاء الله تعالى النافذ في كل حي من خلق الله تعالى على وجه هذه البسيطة. وفيما يأتي بيان مراحل خلق الأجنة في ضوء القرآن والاكتشافات العلمية الحديثة:

أولًا- طور النطفة:

وهذه المرحلة قد ذكرها الله تعالى في كتابه في اثني عشر موضعاً؛ منها قوله تعالى: +خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ } [سورة النحل:٤]، وقوله عَزَّوَجَلَّ: +قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا _ [سورة الكهف:٣٧]، وقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: +وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ _ [سورة فاطر:١١]، وغيرها من الآيات .

---

(1) انظر: الثعلبي، الكشف والبيان,١٠/٤٥؛ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه, ٥/٢٢٩؛ السمرقندي، بحر العلوم، ٣/٥٠٠؛ الطبري، جامع البيان، ٢٣/٢٩٧؛ ابن عطية، المحرر الوجيز,٥/٣٧٤ ؛القرطبي, الجامع لأحكام القرآن، ١٨/٣٠٣ ؛ الماوردي، النكت والعيون, ٦/١٠٢؛ مقاتل، تفسير مقاتل بن سليمان,٤/٤٥٠؛ الواحدي، التفسير البسيط,٢٢/٢٥٧.

والنطفة أنواع ثلاثة:

النوع الأول: النطفة المذكرة: وهي الحيوانات المنوية الموجودة في المني ، والتي تفرزها الخصية.

النوع الثاني: النطفة المؤنثة: وهي البويضة التي يفرزها المبيض مرة واحدة.

النوع الثالث: النطفة الأمشاج: وهي النطفة المختلطة من الحيوان المنوي الذي يلقح البويضة [١].

وقد ذكر القرآن الكريم جميع مراحل تلك النطفة تفصيلًا؛ كما يلي:

أ- مرحلة الماء الدافق: قال تعالى: +فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ _ [سورة الطارق:٥-٧]. هذه الآيات الكريمة إعجاز كامل؛ حيث قال الله تعالى: +يخرج من بين الصلب والترائب_ ولم يقل يخرج من الصلب والترائب ، فكلمة (بين) تعطي دقة علمية متناهية ، إذ كل من الخصية والمبيض في بدء تكوينهما يجاور الكلى ويقع بين الصلب والترائب، أي ما بين منتصف العمود الفقري تقريبا، ومقابل أسفل الضلوع[٢]

ب- مرحلة السلالة: قال تعالى: +ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ _ [سورة السجدة:٨]. والسلالة هنا: كناية عن النطفة تصوّر من صفو ما ستخرج منها[٣] . وعلى هذا، فالمقصود بالسلالة إنما هو صفوة الماء المخلوق منه الجنين، وخلاصته، ومن الممكن أن يكون المراد بذلك الحيوان المنوي من ماء الرجل، والبويضة من الأنثى[٤] . وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا إشارة واضحة؛ وذلك في حديث أبي سعيد الخدري –رضي الله عنه–: «ما من كل الماء يكون الولد، وإذا أراد الله خلق شيء، لم يمنعه شيء»[٥] . هذا الحديث إجابة عن سؤال بعض من الصحابة ﷺ عن العزل، حيث يدل أن العزل لا يمنع حصول الولد الذي قدّره الله تعالى [٦].

ج- مرحلة الأمشاج: قال تعالى: +إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا _ [سورة الإنسان:٢]، وأصل المشيج في اللغة: المختلط من كلّ شيءٍ مخلوطٍ، ويقال: نطفة أمشاج: يعني ماء الرجل يختلط بماء المرأة[٧] .

---

(١) انظر: آمال صادق وفؤاد أبو حطبة،نمو الإنسان،ص٤٩؛ محمد البار،خلق الإنسان, ص١٠٩.
(٢) انظر: محمد البار، خلق الإنسان,ص ١٢١.
(٣) انظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن,ص٤١٨.
(٤) انظر: عدنان الشريف، من علم الطب القرآني،ص ٣٧، ٤٠.
(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب : النكاح، باب :حكم العزل, (١٤٣٨)، ١٠٦٤/٢.
(٦) انظر: الزيداني، المفاتيح في شرح المصابيح, ٥٦/٤.
(٧) انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، حرف (الميم) باب (الميم مع الشين) مادة (مشج),٣٣٢/٤؛ الجوهري، الصحاح، باب (الجيم) فصل (الميم) مادة (مشج),٣٤١/١.

فالخلق لا يحصل إلا بامتشاج نطفة الذكر مع نطفة المرأة؛ كما ورد في حديث ثوبان ﷺ مولى رسول الله ﷺ حينما سأل حبر من أحبار اليهود رسول الله ﷺ عن الولد فأجابه ﷺ: «ماء الرجل أبيض، وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا، فعلا مني الرجل مني المرأة، أذكرًا بإذن الله، وإذا علا مني المرأة مني الرجل، آنثا بإذن الله»[١].

وقد اكتشف العلم الحديث أن المسؤول عن عملية التلقيح هذه نطفة الذكر، والتي تتكون من ملايين الحيوانات المنوية، والتي تحمل المادة الوراثية من الذكر، مخزنة هذه المعلومات الوراثية داخل رؤوسها، فتتجه مباشرة نحو البويضة، حيث يخترق الحيوان المنوي بدروعه المركبة فيه أغشية تلك البويضة، بحيث لا يصل إلى داخلها سوى الرأس الذي يحوي المعلومات والبيانات الوراثية، فتلتقي مع المعلومات الوراثية بداخل البويضة، فيتشكل بذلك الجنين في أولى صوره[٢].

ثم في نهاية هذه المرحلة –مرحلة النطفة الأمشاج– تنغرس تلك البويضة الملقحة في بطانة الرحم بما يشبه انغراس البذرة في التربة في عملية حرث الأرض[٣]، وهي التي يشير الله تعالى إليها في قوله: +نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ _ [سورة البقرة:٢٢٣].

ثانيًا- طور العلقة:

وهذه التي ذكر الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز، في خمسة مواضع، منها: قوله تعالى: +يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ _ [سورة الحج:٥]، وقوله: +ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ _ [سورة المؤمنون:١٤]، وقوله: +ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ _ [سورة القيامة:٣٨].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الحيض، باب: بيان صفة مني الرجل، والمرأة وأن الولد مخلوق من مائهما, ح(٣١٥),١/٢٥٢.

(٢) انظر: هارون يحيى, معجزة خلق الإنسان، ص ٧٠– ٧٣ .

(٣) انظر: محمد البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص ٤٤.

والعلقة: هي قطعة من دم رطب، وسميت بذلك؛ لأنها تعلق لرطوبتها بما تمر عليه، ومعنى: خلق الإنسان من علق أن نطفة الذكر ونطفة المرأة بعد الاختلاط ومضي مدة كافية تصيران علقة فإذا صارت علقة فقد أخذت في أطوار التكون[1].

ومن إعجاز القرآن العلمي: ذكر العلقة؛ لأن الثابت في العلم الحديث أن الإنسان يتخلق من بويضة دقيقة جدًا لا ترى بالعين المجردة حجمها لا يزيد عن ربع مليمتر[2]، تكون في مبدأ ظهورها كروية الشكل ، فلا تقبل التخلق حتى تخالطها نطفة الرجل، فتمتزج معها فتأخذ في التخلق إذا لم يعقها عائق كما قال تعالى: +يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ_ [سورة الحج:٥]، فإذا أخذت في التخلق والنمو امتد تكورها قليلًا، فشابهت العلقة التي في الماء مشابهة تامة في دقة الجسم وتلونها بلون الدم الذي هي سابحة فيه وفي كونها سابحة في سائل كما تسبح العلقة[3].

ثالثًا- طور المضغة:

وهي التي ورد ذكرها في كتاب الله العزيز في موضعين؛ أحدهما قوله عَزَّوَجَلَّ: +يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ_ [سورة الحج:٥]، وثانيهما قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: +ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ _ [سورة المؤمنون:١٤].

---

(1) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير,٤٣٨/٣٠؛ الماوردي، النكت والعيون,٣٠٤/٦ .
(2) انظر: محمد البار، خلق الإنسان, ص٢٠٤ .
(3) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير,٤٣٨/٣٠.

والمضغة في الأصل؛ هي: القطعة الصغيرة من اللحم قدر ما يُمضغ، وسميت بذلك؛ لأنها تكون بمقدار ما يمضغ في الفم[١].

ولقوله تعالى: +مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ_ معان عدة علمية وشرعية، وهي:

المعنى الأول: أن الأقسام التي تحيط بالجنين وتحميه من أغشية وحبل سري ومشيمة يكتمل تكونها في طور المضغة وتسقط بعد ولادته، فهي تشكل المضغة غير المخلقة. أما القسم الآخر من المضغة المخلقة فيكون الجنين شسه[٢].

المعنى الثاني: أن الجنين في طور المضغة هو مخلق وغير مخلق في آن واحد، بمعنى أن تخلقه قد بدأ ولكنه لم يكتمل بعد، حيث إن بعض الأعضاء كالعينين والقلب وغيرهما يبدأ تكونها في طور المضغة، إلا أن تخلقها لا يكتمل إلا لاحقاً [٣].

المعنى الثالث: أن طور المضغة تظهر فيه خلايا متخصصة كالخلايا العصبية والقلبية ونحوها

لتشكل الخلايا المخلقة، وتبقى خلايا غير متخصصة، هي خلايا الاحتياط أو الخلايا غير المخلقة تتحول إلى خلايا متخصصة تحل محل المتخصصة عندما تموت، كخلايا كريات الدم الحمراء وغيرها[٤].

المعنى الرابع: أن هذه المضغة منها ما يتصور فيه الخلق، ومنها ما يسقط ميتًا قبل حدوث الصورة فيه، أو ينفخ فيه الروح، ومعنى مخلقة أو غير مخلقة صفة للمضغة نفسها، فالمخلقة المصورة خلقا تاما، وغير مخلقة: السِّقط قبل تمام خلقه[٥].وهذا المعنى هو الراجح بدليل قوله تعالى: +وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى_ [سورة الحج:٥].

وفي هذه الآية إشارة لأطوار تشكل تلك المضغة؛ فإنها في أول أمرها تكون غير مخلقة، أي غير ظاهر فيها شكل الخلقة، ثم تكون مخلقة، والمراد تشكيل الوجه ثم الأطراف؛ ولذلك لم يذكر مثل هذين الوصفين عند ذكر النطفة والعلقة؛ إذ ليس لهما مثل هذين الوصفين، بخلاف المضغة[٦].

---

(١) انظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، كتاب (الميم) باب (الميم والضاد وما يثلهما),٣٣٠/٥؛ الفيومي، المصباح المنير، كتاب (العين) (العين مع اللام وما يثلثهما) مادة (م ض غ),٤٢٦/٢.

(٢) انظر: عدنان الشريف، من علم الطب القرآني, ص٥٥.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص٥٥.

(٤) انظر: المرجع السابق، ص٥٥.

(٥) انظر: الطبري، جامع البيان، ٤٦٣/١٦؛القرطبي، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم,٣٩٥/٥.

(٦) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير,١٩٨/١٧.

رابعًا- طور خلق العظام وكسائه باللحم:

وهذه هي مرحلة التكوين النهائي للإنسان، وفيه يقول المولى تبارك وتعالى: + فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا _ [سورة المؤمنون:١٤]، معناه: أنبتنا على كل عظم من هذا لحمًا، يصير لها كاللباس والكسوة التي تستره وتشده وتقويه؛ لأن اللحم هو الذي يستر العظام، ويحيط بها، فجعله بذلك كالكسوة بالنسبة لها، وجعل على كل عظم مقدارًا يليق به من اللحم، وشده بالأعصاب والعروق[(١)].

وقد أيدت هذه الآية الكريمة ، ما جاء في الأبحاث العلمية الحديثة المختصة بخلق الجنين؛ حيث إنه تم اكتشاف أن الجنين ينتقل من مرحلة المضغة التي لا تحمل شكلًا آدميًا إلى مرحلة العظام التي يغلب عليها شكل الهيكل العظمي المميز للإنسان، وتتضمن هذه العملية مجموعة طلائع خلايا الأنسجة الوسطى – النسيج الجنيني الضام- لكل من العظام الغشائية والغضروفية، حيث إنه حين تتكون العظام بين الأغشية –كعظام الفك السفلي والعلوي- تتكاثف خلايا النسيج الأوسط، وتشكل أكداسًا من الخلايا، وتتميز على شكل خلية تعظُّم أو بدائية عظمية، والتي تفرز بدورها حول نفسها منبتًا عضويًّا للعظام، يكون غنيًّا بالغراء، وعندما يحيط منبت العظام بالخلايا تسمى خلايا عظمية، ثم يتمعدن – بترسيب الكالسيوم– منبت العظام العضوي مع تعظّمه، وتتكون العظام الغضروفية على نحو مماثل، باستثناء الخلايا المتكاثفة في الطبقة المتوسطة؛ فإنها تتميز أولًا على شكل جذعة غضروفية تكون المنبت العضوي لعظام الغضروف، فيتكون الهيكل العظمي الأوّلي من الغضروف، ثم يحل العظم محل الغضروف، وتحيط طبقة من الأنسجة الضامة – وهي ما تسمى غشاء الغضروف– بنموذج الغضروف – السمحاق الذي يغلف العظام– ويكون هذا بمثابة مخزن للخلايا الأصول- عند نمو الأنسجة[(٢)].

ثم بعد عملية التعظم هذه في نهايات العظام والساق تتميز الروابط العضلية الهيكلية، وتكسو العظام والساق، وتنتشر حول العظام كلها وتحيط بها كما يحيط اللباس بما يكسوه، ثم بتمام كساء العظام باللحم، تبدأ الصورة الآدمية بالاعتدال، فترتبط أجزاء الجسم بعلاقات أكثر تناسقًا، ثم بعد تمام تكوين العضلات يمكن للجنين حينئذ أن يتحرك. وهذه تكون بعد تمام مرحلة العظام مباشرة خلال فترة وجيزة في الشهور الثلاثة الأولى من الحمل[(٣)].

خامسًا- مرحلة النشأة:

---

(١) انظر: الطبري، جامع البيان,٢١/١٧؛مكي بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية,٤٩٥٠/٧.
(٢) انظر: الفياض، إعجاز آيات القرآن في خلق الإنسان، ص ٩٨.
(٣) انظر: آمال صادق وفؤاد أبو حطب، نمو الإنسان, ص١٦٦.

وهي التي عبر عنها القرآن بقوله تعالى:+ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ_[سورة المؤمنون:١٤]، أي: خلقًا مباينًا للخلق الأول؛" لأن الخلق المذكور قبله كان دون حياة ثم نشأ فيه خلق الحياة، وهي حالة أخرى طرأت عليه عبرّ عنها بالإنشاء".[١].

ففي هذه المرحلة تتطور تلك الأعضاء التي بدأت بالتمايز في المرحلة الأولى من الخلق، وتكتمل وظائفها إلى درجة كبيرة جدًا، وتتغير المقاييس، وتتخذ ملامح الوجه المقاييس البشرية المألوفة، فتنتقل – على سبيل المثال– الأذن من الرقبة إلى الرأس، وتتحرك العينان إلى مقدمة الوجه، ويصبح الطرفان السفليان أكثر طولًا بالنسبة للجسم، وأما محيط الرأس – الذي كان يساوي محيط البطن تقريبًا– فيبدأ بالتعديل والتغيير، ويزداد محيط البطن فيما بعد، لتتعدل الصورة، وتتناسق أحجام أجزاء الجسم لدى الجنين، وتتمايز الأعضاء الجنسية، ويحدث اكتساب الصورة الشخصية له، وينفخ فيه الروح.[٢] وهذه المرحلة هي التي أشار إليها القرآن إشارة مختصرة بليغة بقوله تعالى:+ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ_[سورة الاشطار:٧-٨].

ولا يملك المرء، وهو يتابع السياق القرآني لمراحل تطور الأجنة، ويقارن بين ما جاء فيه، وما اكتشفه العلم الحديث إلا أن يردد قول المولى –جل في علاه–: +فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ_[سورة المؤمنون:١٤].

المبحث الرابع: الدلائل العقدية لخلق الإنسان

لما كان أقرب الأشياء إلى الإنسان نفسه؛ أُمرنا بالتفكر في أنفسنا، قال تعالى: +وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ_[سورة الذاريات:٢١]، فالإنسان إذا نظر في نفسه استنارت له آيات الربوبية وأدلة التوحيد الشاهدة والدالة على مدبر عليم قدير[٣]. ثم إن المتأمل في دلالات الآيات القرآنية، والتي منها ما ذُكِر فيها مراحل الخلق، يجد أنها تحوي دلالات عقدية عديدة في ذاتها، إما تصريحًا أو إشارة؛ فمن تلك الدلالات المذكورة:

١- دلالات توحيد الربوبية:

إن أحسن ما يستدل به على ربوبية الخالق هو الاستدلال بخلق الإنسان نفسه، قال تعالى: +وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ_[سورة الذاريات:٢١]، فصاحب الفطرة السليمة والعقل

---

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٤/١٨.

(٢) انظر: الفياض، إعجاز آيات القرآن في خلق الإنسان، ص ١١١– ١١٢ ؛ محمد البار،خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص ٣٥٣، ٣٧٢.

(٣) انظر: ابن القيم، التبيان في أيمان القرآن، ص٣٠٣.

الرشيد، إذا أعمل فكره في كيفية خلقه من العدم، وتدبر مراحل تكوينه وتطوره، أدرك يقيناً ربوبية الخالق ، واستدل بها على كمال قدرته ووحدانيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ[1].

فمن مقتضى ربوبية الله العامة شموليتها جميع الخلق من مؤمن وكافر، وبر وفاجر، بدءاً من خلقهم ورزقهم وهدايتهم؛ لما تقوم به حياتهم الدنيوية[2]،" فالإنسان هو الدليل وهو المستدل" [3] كما قال تعالى: +وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ _ [سورة الجاثية: ٤]، فإن خلق الإنسان وما يشتمل عليه من أطوار متعاقبة ، ومعان ظاهرة للخلق والتقدير كلها تدل على التغير والانتقال من حال إلى حال، وهذا التغير دليل حدوث، والحدوث يثبت الحاجة إلى المحدِث ، وهو الفاعل المختار، الذي أوجده بعد العدم وتصرف فيه كيف يشاء، وحوّله من مرحلة إلى أخرى[4]. قال عَزَّوَجَلَّ: +أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ _ [سورة الطور:٣٥]، أي: أخلقوا من غير شيء خلقهم فوُجدوا بلا خالق؟ هذا مما يستحيله العقل؛ لأن وجود الخلق يستلزم وجود خالق بالضرورة، فلا يمكن لمخلوق أن يُوجد دون خالق، فإن جحدوا وجود الخالق، استحال أيضاً أن يكونوا قد وُجدوا بلا خالق، فهل خلقوا أنفسهم؟ وهذا الأمر أبطل وأبعد؛ إذ كيف يخلق الشيء نفسه، وهو كان معدوماً لا وجود له؟ فلما بطل الاحتمالان ثبتت الحجة عليهم بأن لهم خالقاً واحداً يجب عليهم الإيمان به.[5]

كما إن كمال الخلق دليل على كمال خالقه، فالله خلق كل مخلوق على ما يناسب حاله، وهداه لمصالحه المناسبة له، قال تعالى: +ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ _ [سورة السجدة:٨]، هذا من تمام قدرة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، حيث خلق الإنسان العجيب في خلقه وفهمه وتدبيره من جماد، وهو الطين ، وجعل له نسلاً من أجل أن يبقى هذا النوع من المخلوقات.[6]

فالإنسان مهما بلغ من قوة، فهو بالنسبة إلى الخالق عاجز ضعيف، إذ ليس لديهم قدرة ذاتية من أنفسهم، وأما ما لديهم من قدرة فإنما هو بإقدار الله لهم، يمنحهم إياها أو يمنعهم، فالله أقدر منهم ومن كل من عداهم، [7] قال عَزَّوَجَلَّ: +فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ

---

(1) انظر: عرفة طنطاوي، معالم التوحيد, ص٢٤٩.
(2) انظر: ابن عثيمين، تفسير آل عمران, ٥٦٨/٢.
(3) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٢٦٢/١٦.
(4) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٣٢٧/٢٥-٣٢٨.
(5) انظر: البغوي، معالم التنزيل، ٢٩٥/٤.
(6) انظر: ابن عثيمين، تفسير سورة السجدة، ص٤٨-٤٩.
(7) انظر: ابن عثيمين، تفسير سورة العنكبوت، ص٩٧.

ٱلْحَقِّ وَقَالُوٓاْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ _ [سورة فصلت:١٥].

قال تعالى: +وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ _ [سورة المؤمنون:١٢-١٤]، قال ابن عاشور ﷺ بعد ذكر هذه الآيات:"وهذا شروع في الاستدلال على انفراد الله تعالى بالخلق وبعظيم القدرة التي لا يشاركه فيها غيره، وعلى أن الإنسان مربوب لله تعالى وحده، والاعتبار بما في خلق الإنسان وغيره من دلائل القدرة ومن عظيم النعمة"[(١)]. وغير ذلك من الآيات الدالة على تفرده – تبارك وتعالى– بخصائص الربوبية من خلق وملك وتدبير.

٢- دلالات توحيد الأسماء والصفات:

دلت آية خلق الإنسان على أسماء وصفات كثيرة لله تعالى ، يظهر أثرها جلياً في هذا الخلق العجيب. وسوف أورد بعضاً منها:

- الصفات الذاتية لله تعالى:

١-الحكمة:

أخبر الله عز وجل أنه خلق الإنسان لحكمة وغاية عظيمة، قال تعالى: +وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ _ [سورة الذاريات:٥٦]، فأفعال الله عز وجل لا يمكن أن تقع سفهاً ، وهذا شيء معلوم بالضرورة [(٢)] قال تبارك وتعالى:+أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ _ [سورة المؤمنون:١١٥-١١٦]، أي أفظننتم أنكم مخلوقون عبثا بلا قصد ولا حكمة لنا! تقدس أن يخلق شيئا عبثا، فإنه الملك الحق المنزه عن ذلك، الذي عدل بين خلقه، وأقام كل مخلوق بالمكان المناسب له في هذا الوجود .[(٣)]

٢- صفة اليد:

دلت هذه الآية على إثبات صفة اليد لله تعالى، حيث خلق الله آدم عليه السلام بيده وذلك في قوله جلّ وعلا: +قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ _ [سورة ص:٧٥] ، وكما في حديث الشفاعة عن أبي هريرة ﷺ، عندما

---

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢١/١٨.
(٢) انظر: ابن عثيمين، تفسير سورة سبأ، ص١٩٠.
(٣) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٥٠٠/٥.

يأتي الناس إلى أبيهم آدم عليه السلام للشفاعة للفصل بين الناس يقولون: (يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، وأسكنك الجنة، ألا تشفع لنا إلى ربك...) [1].

٣ ـ صفة العلم:

إثبات صفة علم الله تعالى بدلالة الالتزام ، حيث يلزم من صفة الخلق صفة العلم لله تعالى ، كما دلت الآية -خلق الإنسان- على صفة العلم بدلالة المطابقة في قوله تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ـ [سورة ق:١٦]، فقد دلت الآية على سعة علم الله تعالى بأحوال العباد، وإحاطته بكل الشيء ، فلا يحجب علم الله شيء ؛ إذ الإنسان في تكوينه الخلقي تحجب أبعاضه وأجزاؤه بعضها بعضا، والله لا يُحجب عنه شيء[2].

٤- صفة الإرادة:

دلت الآية الكونية على إثبات صفة الإرادة لله تعالى، وإرادة الله تنقسم إلى قسمين:

١- إرادة كونية مرتبطة بمشيئته سبحانه وتعالى قوله تعالى: +إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ـ [سورة آل عمران:٥٩]، فالله عز وجل إذا أراد شيئا أن يكون قال له: كن، فإذا هو كائن، "وإذا كان الخلق فعله فهو بمشيئته، إذ يمتنع أن يكون فعله بغير مشيئة". [3]

٢- إرادة شرعية ، وهي كما في قوله تعالى: +يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ـ [سورة النساء:٢٨]، إرادة الله تعالى لهذا الدين أن يبنى على اليسر والسهولة؛ لعلمه سبحانه بضعف الإنسان خلقةً وخلقا. [4]

- **الصفات الفعلية الاختيارية لله تعالى:**

قد دلت هذه الآية الكونية على الصفات الفعلية الاختيارية المتعلقة بمشيئة الله، كصفة الله المبدئ ، كما في قوله تعالى: +ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ـ [سورة السجدة:٧]، فهو الله جل في علاه الذي ابتدأ الأشياء كلّها

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: +إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ـ [سورة نوح:١]،ح (٣١٦٢)، ٣/١٢١٥.أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها،ح (١٩٤)،١/١٢٧. واللفظ للبخاري.

(٢) انظر: البغوي، معالم التنزيل، ٤/٢٧٢.

(٣) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ١٦/٣٦٥.

(٤) انظر: ابن عثيمين، تفسير سورتي الفاتحة والبقرة، ٢/٣٣٩.

لا عن شيء، فأوجدها كما أراد وبما أراد، وكان ابتداء خلق الإنسان -وهو آدم- من طين .[١]

وصفة المعيد في قوله جل جلاله: +* مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ_ [سورة طه:٥٥]، "فهو الذي يعيد الخلق بعد الحياة إلى الممات في الدنيا، وبعد الممات إلى الحياة يوم القيامة ".[٢]

واثبات صفة الله المصور، كما في قوله تعالى: +هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ_ [سورة آل عمران:٦]، ومعنى التصوير هو التخطيط والتشكيل، إذ خلق الله عز وجل الإنسان في أرحام الأمهات على أطوار متتابعة، يعرف بها ويتميز عن غيره بسمتها، ثم صيره صورة تامة، وهو التشكيل الذي تتحقق به الصورة والهيئة البشرية[٣].

٣- دلالات توحيد الألوهية:

لقد جاء القرآن بالأدلة الدامغة والبراهين القاطعة والحجج الباهرة على استحقاق المولى - تبارك وتعالى- للتفرد بتوحيد القصد والعبادة، وذلك لإقرار الخلق كلهم بتفرده بالخلق وربوبية العالمين؛ وذلك كما في قوله: +يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ _ [سورة البقرة:٢١]، قال ابن كثير ﷺ في تفسيره للآية: "شرع تبارك وتعالى في بيان وحدانية ألوهيته، بأنه تعالى هو المنعم على عبيده، بإخراجهم من العدم إلى الوجود وإسباغه عليهم النعم الظاهرة والباطنة ... ومضمونه: أنه الخالق الرازق مالك الدار، وساكنها، ورازقهم، فبهذا يستحق أن يعبد وحده ولا يشرك به غيره"[٤]، والآيات الواردة في خلق الإنسان أتت في جملتها داعية المشركين إلى توحيد الألوهية وعبادة الله تعالى؛ فهم مقرون بتوحيد الربوبية، كما جاء في قوله تعالى: +وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ_ [سورة الزخرف:٨٧]، فالله تعالى ينكر على المشركين إعراضهم عن توحيده تعالى بالعبادة مع إقرارهم له بصفات الربوبية، إذ إن توحيد الألوهية هو غاية محبوبة لله تعالى؛ لأجلها خلق الثقلين ، كما قال تعالى: +وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ_ [سورة الذاريات:٥٦].

وفي خلق الإنسان والمراحل التي مرت بها طينة آدم والمراحل التي يمر بها الإنسان في بطن أمه أكبر شاهد بوحدانية الله، فلو كان يدبر أمر النطفة أكثر من إله لفسدت؛ لجواز أن

---

(١) انظر: الزجاج، تفسير أسماء الله الحسنى، ٥٥/٥٥.
(٢) حصة الصغير، إفراد أحاديث اسماء الله وصفاته، ١٢٠/١.
(٣) انظر: البيهقي، الأسماء والصفات، ٧٨/١.
(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١٩٤/١.

يريد إله خلق إنسان منها وأن يريد الآخر عكسه، ولذلك امتن الله على خلقه بهذا الحفظ والعناية والتدبير للنطف في بطون الأمهات داعيًا عباده به للإيمان بألوهيته[1]، قوله تعالى: +خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ _ [سورة الزمر:٦]، "أي: الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده، {فأنى تصرفون} أي: فكيف تعبدون معه غيره؟ أين يذهب بعقولكم؟!"،[2] وقال عَزَّوَجَلَّ: +خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ _ [سورة النحل:٤]، "فلما استقل ودرج إذا هو يخاصم ربه تعالى ويكذبه، ويحارب رسله، وهو إنما خلق ليكون عبدا لا ضدا"،[3] والله عزوجل يذكّره بما يوجب إخلاص العبادة له وحده، مبيناً أنه المتفرد بأفعال لا يشاركه فيها أحد،فيقول جلّ من قائل: +ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ _ [سورة الروم:٤٠].

والحق الذي خُلق به الخلق هو إلهية الرب المتضمنة لكمال حكمته وملكه المتضمن لعدله وفضله ولقائه، كما في قوله تعالى: +أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ _ [سورة المؤمنون:١١٥-١١٦] ، فالحق الذي وجد به العالم كون الله سبحانه هو الإله الحق المعبود والآمر الناهي المتصرف في الممالك.[4]

٤- دلالات الإيمان بالملائكة:

أخبر الله تعالى الملائكة بخلق آدم، ثم أمرهم بالسجود له، فقال عَزَّوَجَلَّ +وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ _ [سورة الحجر:٢٨-٢٩]، وقال تعالى في موضع آخر آمراً الملائكة للسجود لآدم وبيّن استجابتهم لأمره وعصيان إبليس للامتثال للأمر: +وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ _ [سورة الأعراف:١١]، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: +وَإِذْ قُلْنَا

---

(1) انظر: محمدملكاوي، عقيدة التوحيد، ص٢٦٧.
(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٨٦/٧-٨٧.
(3) المرجع السابق، ٥٥٦/٤ .
(4) انظر: ابن القيم، مفتاح دار السعادة، ٢٠١/٢.

لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا _ [سورة الإسراء:٦١]، "وكان سجود الملائكة لآدم تكرمة لآدم وطاعة لله، لا عبادة لآدم".[١]

٥- **دلالات الإيمان بالرسل:**

إن الله عز وجل خلق رسوله عيسى ﷺ من أم بغير أب، وليس ذلك بأعجب من خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى، فبين ذلك في قوله تعالى: +إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ _ [سورة آل عمران:٥٩]، وسمي عيسى ﷺ بالكلمة؛ لأنه كان بكلمة من غير أب، وهي قول الله سبحانه: كن [٢].

كما أرشد أنبياء الله ﷺ أقوامهم إلى آية الخلق، كخطاب نوح ﷺ لقومه، حينما دعاهم إلى توحيد الله عَزَّوَجَلَّ ، في قوله تعالى: +مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا _ [سورة نوح:١٣-١٤]، وحينما دعا صالح ﷺ قومه قال تعالى: +وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ _ [سورة هود:٦١]، فجعل التذكير بنعمة الخلق وتسخير ما في الأرض، مدخلاً للدعوة إلى توحيد الله تعالى، وإقامة الحجة عليهم . وفي دعوة شعيب ﷺ لقومه، حينما أنذرهم بأس الله الذي خلقهم وخلق آباءهم الأولين [٣]، فقال تعالى: +وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ _ [سورة الشعراء:١٨٤].

كذلك في هبة الله تعالى الذرية لبعض الأنبياء، مع انعدام أسبابها، دليل على نبوتهم، مثل قصة نبي الله زكريا ﷺ رزقه الله الولد استجابة لدعائه ، مع كبر سنه وعقر زوجه، فقال تعالى مبشرا له: +يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا _ [سورة مريم:٧-٩]، وهنا يبين الله تعالى أن" لا عجب من خلق الولد في الأحوال المألوفة، كذلك لا عجب من خلق الولد في الأحوال النادرة ،إذ كلاهما إيجاد بعد عدم" [٤]،وهو هين على رب العزة والجلال.

٦- **دلالات الإيمان باليوم الآخر:**

---

(١) الطبري، جامع البيان، ٥١٢/١.
(٢) انظر: البغوي، شرح السنة، ١٠١/١.
(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١٦٠/٦.
(٤) ابن عاشور،التحرير والتنوير، ٧٢/١٦.

إن ابتداء خلق الإنسان يُعد من أوضح البراهين على إمكان البعث والنشور، فقد دلَّل الله تعالى بخلق آدم عليه السلام من تراب على تمام قدرته على الإعادة بعد الفناء، قال تعالى: +يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ_ [سورة الحج:٥]، فإن في ابتدائنا خلق أبيكم آدم ﷺ من تراب ثم إنشائنا لكم من نطفة آدم، ثم تصريفنا لكم أحوالا، حالا بعد حال، لكم معتبرٌ ومتعظٌ تعتبرون به، فتعلمون أن من قدر على ذلك فغير متعذّر عليه إعادتكم بعد فنائكم، كما كنتم أحياء قبل الفناء[١].

وقد سار القرآن الكريم على هذا المنهج البليغ في تقرير حقيقة اليوم الآخر؛ إذ يُذكّر الإنسان بأصله الأول ليستدل به على نشأته الثانية، كما في قوله تعالى: +أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ٧٧ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ٧٨ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ_ [سورة يس:٧٧-٧٩]، أي أنه لما خلقها لأول مرة من غير شيء، فهو قادر على أن يعيدها في النشأة الثانية من شيء ، وهو عجب الذنب[٢] كأنه يكون نواة للجسم عند بعثه يوم القيامة، فإنه منه يخلق الآدمي في قبره[٣]، كما جاء عن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «كل ابن آدم يأكله التراب، إلا عجب الذنب، منه خلق وفيه يركب »[٤]، "وهو بكل خلق عليم" أي كيف يُبدي ويُعيد.[٥]

وقال تعالى: +مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ_ [سورة لقمان:٢٨]. قال ابن كثير ﷺ: "ما خلق جميع الناس وبعثهم يوم المعاد بالنسبة إلى قدرته إلا كنسبة خلق شس واحدة، الجميع هين عليه "[٦].

٧- دلالات الإيمان بالقدر:

---

(١) انظر: الطبري، جامع البيان، ٥٦٧/١٨.

(٢) عجب الذنب: هو العظم اللطيف الذي في أسفل الصلب عند العجز وهو رأس العصعص. انظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم، ٩٢/١٨؛ ابن منظور، لسان العرب، كتاب (الباء) فصل (العين) مادة (عجب)، ٥٨٢/١.

(٣) انظر: ابن عثيمين، تفسير الحجرات والحديد,

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: ما بين النفختين، ح(٢٩٥٥)، ٢١٠/٨.

(٥) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٥٨/١٥.

(٦) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٣٤٩/٦.

مراتب القدر أربع، وهي: العلم والكتابة والمشيئة والخلق [١]. فهذه الآية -خلق الإنسان- وجدت بقدر الله تعالى، وقد ارتبطت بها مراتب القدر الأربع:

- مرتبة العلم: إحاطة علم الله بالإنسان قبل خلقه وفي أثناء تخليقه وما تكنه نفسه ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ [سورة ق:١٦]،

- مرتبة الكتابة: الله عزّ وجل قد كتب مقادير كل شيء إلى أن تقوم الساعة، ومنها خلق الإنسان وعمره وأجله كل ذلك مكتوب في اللوح المحفوظ، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [سورة فاطر:١١]. وقد دلت السنة النبوية كذلك على نوع من الكتابة التفصيلية المتعلقة بخلق الإنسان كما في حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «أن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما وأربعين ليلة، ثم يكون علقة مثله، ثم يكون مضغة مثله، ثم يبعث إليه الملك، فيؤذن بأربع كلمات، فيكتب: رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أم سعيد، ثم ينفخ فيه الروح، فإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون بينها وبينه إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار. وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينها وبينه إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل عمل أهل الجنة فيدخلها» [٢].

مرتبة المشيئة: من الأدلة التي تدل على الإيمان بالقدر وإثبات مرتبة المشيئة قوله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [سورة الشورى:٤٩-٥٠]، فمسألة هبة الذرية كلها تحت مشيئة الله وحده، وما الوالدان إلا سبب ، والنتيجة المترتبة على السبب لا تكون إلا وفق مشيئة الله تعالى.

مرتبة الخلق: هذه الآية -خلق الإنسان- كل ما ورد فيها من أدلة مثبتة لهذه المرتبة. ومن الأمور المرتبطة بخلق الإنسان عمله، فالإنسان وعمله كلاهما مخلوقان، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة الصافات:٩٦]. وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سورة التغابن:٢].

---

(١) انظر: ابن تيمية، العقيدة الواسطية، ص١٠٥-١٠٧.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: التوحيد، باب: قوله تعالى: (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين)، ح (٧٤٥٤)، ٩/١٣٥. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي، ح (٢٦٤٣)، ٤/٢٠٣٦. واللفظ للبخاري.

المبحث الخامس: المخالفات العقدية المتعلقة بخلق الإنسان

هناك مخالفات عقدية كثيرة متعلقة بخلق الإنسان، من أهمها:

أولاً: نظرية داروين:

تُعد أشهر النظريات العلمية ظهورًا واستخدامًا في الفكر المعاصر، وهي نظرية تتعلق بالتطور البيولوجي للكائنات الحية نُسبت إلى عالم الأحياء البريطاني "تشارلز داروين" حيث أخرج نظريته هذه في كتابه: "أصل الأنواع" عام (١٨٥٩ م)[١]، زعم فيه أنّ أصل المخلوقات الحية جميعها خلية واحدة -عنصر بسيط التركيب-، وُجدت في الماء عبر ملايين السنين ثم أخذت البيئة تفرض عليها من التغييرات في تكوينها، ما أدّى إلى نشوء صفات جديدة في هذه الخلية، ثم تطورت وأصبحت لها صفات مكتسبة متوارثة في الأجيال، تحولت مجموع هذه الصفات الصغيرة الناشئة من البيئة عبر ملايين السنين إلى نشوء صفات كثيرة راقية، ومع تقادم الزمان اكتسبت صفاتاً أرقى وأقوى، واستمر ذلك النشوء للصفات بفعل البيئة والارتقاء في المخلوقات، وهو ما يسمى بالانتخاب الطبيعي ، حتى وصل إلى هذه المخلوقات التي كانت آخر مراحلها القردة ثم ارتقت وانتهت بالإنسان[٢].

وهذه النظرية مخالفة تماما لما ورد في كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وذلك في عدة أمور ، أهمها:

١- نفي صفة الخلق لله تعالى ونسبتها للطبيعة، يقول داروين: "وإني فوق ذلك لشديد الاقتناع بأن الانتخاب الطبيعي هو السبب الأكبر والمهيء الأقوى لحدوث التحولات -المقصود مراحل تطور الإنسان- ، ولو لم يكن السبب الأوحد الذي تفرد بإبرازها إلى عالم الوجود"[٣]، والله عز وجل يقول: +ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ_ [سورة الزمر:٦٢]. في هذه الآية "يخبر تعالى أنه خالق الأشياء كلها، وربها ومليكها والمتصرف فيها، وكلٌ تحت تدبيره وقهره وكلاءته"[٤].

٢- أن الإنسان لم يخلق مباشرة، بل مرّ بمراحل تطور خلالها إلى أن صار إنساناً عاقلا. وهذا القول من أكذب ما قيل ، فالله عز وجل خلق الإنسان أول نشأته من طين، كما دلت على ذلك آيات عديدة في كتابه الكريم تبين أصل الإنسان وتقرر مادتها الأولى، منها قوله تعالى: +ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ_ [سورة السجدة:٧]، والله تعالى خلق آدم أبا البشر ﷺ بيده على هيئته ،كما جاء في قوله سبحانه: +قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ

---

(١) انظر: يوسف بطرس، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص ٣٥١- ٣٥٥.
(٢) انظر: تشارلز داروين، أصل الأنواع, ص١١٩-١٢٢.محمد كولن, حقيقة الخلق، ص٢٦-٢٨.
(٣) تشارلز داروين، أصل الأنواع, ص١٢٢.
(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١١١/٧.

أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ [سورة ص:٧٥]. ثم لم يكن خلق الإنسان ناقصاً ثم اكتمل، كما تقول النظرية؛ بل كان كاملاً، ثمّ أخذ يتناقص الخلق، فعن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: (خلق الله آدم وطوله ستون ذراعا، ثم قال: اذهب فسلم على أولئك من الملائكة، فاستمع ما يحيونك، تحيتك وتحية ذريتك، فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فزادوه: ورحمة الله، فكل من يدخل الجنة على صورة آدم، فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن) [١].

٣- أن الإنسان في مراحله الأولى قبل أن يصبح إنسان كاملاً -بعد انتقاله من مرحلة القرود -كان إنساناً وحشيًا يتعلم من الحيوانات الأخرى وليس بمفكر ولا متكلم. وهذا مخالف لما جاء في كتاب الله تعالى من أن أول ما خلق الله أبو البشر عليه السلام علمه اسم كل شيء[٢]، قال تعالى: +وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ [سورة البقرة: ٣١].

ثانياً: القول بأن آدم ليس أبا البشر:

يذهب بعض المفكرين والمفسرين إلى التشكيك في كون آدم ﷺ هو أول بشر خلقه الله سبحانه وتعالى على هذه الأرض، أو أنه أبو البشر جميعًا، ويرون أن القرآن الكريم لا يقدم نصاً قطعيا في هذه المسألة، وأن أصل القول بأن آدم أبو البشر هو مجرد مسلّمات دينية أساسها موروثات عبرانية .[٣] ويُبنى هذا الاتجاه على مجموعة من الدعاوى يمكن تلخيصها في النقاط الآتية:

- الزعم بأن آدم هو أبو الإنسان لا أبو البشر، وفرقوا بين الإنسان والبشر، فالبشر هو المخلوق من طين، هو بداية خلق الإنسان قبل أن يكون مميزا عاقلاً يحمل الأمانة، بمعنى أن البشر هم بلا عقل والإنسان هو المكرم بالعقل .[٤] قالوا: ومن الأدلة على ذلك وجود حفريات قديمة ترجع إلى أكثر من مليون عام، بها جماجم وعظام بشرية، وهذا أكثر بكثير من عمر آدم ﷺ ، حيث عمره لا يتجاوز الثلاثين ألف سنة مضت ، بحسب ما ورد في القرآن وقصص الأنبياء.[٥]

- القول بأن قبل آدم ﷺ هناك آدمون كثر وصل عددهم ألفاً ومائتا آدم. فعلى هذا القول

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} [سورة البقرة:٣٠]، ح (٣١٤٨), ٣/١٢١٠.أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير، ح (٢٨٤١), ٤/٢١٨٣. واللفظ للبخاري.

(٢) انظر: الطبري، جامع البيان، ١/٤٨٣.

(٣) انظر: محمد الحلي، الكون والقرآن، ص ٩٤-٩٥.

(٤) انظر: عبدالصبور شاهين، أبي آدم قصة الخليقة ص٨٨-٩٤.

(٥) انظر: أحمد شوقي, موسوعة الإعجاز العلمي، ٢/٣٢.

يكون هناك خلائق كثيرون عاشوا قبل آدم ﷺ ملايين السنين، ثم انقرضوا جميعًا بعد أن انتخب الله آدم من أب وأم منهم، كما انتخب حواء زوجة آدم من أب وأم كذلك،[1] ويستدلون بقول الله سبحانه وتعالى على لسان الملائكة: +قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ_ [سورة البقرة:٣٠]، فالملائكة لا يعلمون الغيب، لو لم يروا ذلك من قبل آدم من جنسه، لما عرفوا أن أولاد آدم سيفسدون في الأرض ويسفكون الدماء.[2]

وهذه الشبهة باطلة من وجوه:

الوجه الأول: دلّت النصوص الشرعية دلالة صريحة على أن أصل الإنسان من نفس واحدة، هو آدم ﷺ ومنه تناسلت الأمم ،قال تعالى: +يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ _ [سورة النساء:١]،فالله عز وجل خلق آدم ﷺ من تراب بيديه الشريفتين وكرمه، وخلق حواء من جنبه، وأنزلهما إلى الأرض، ومنهما تكاثرت البشرية وخلق ذريته من بعده على طريقة التناسل المعلومة من اجتماع الرجل والمرأة، ووردت آيات كثيرة دالة على ذلك، منها:قوله تعالى: +وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ١٢ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ١٣ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ_ [سورة المؤمنون:١٢-١٤]. ولم يأت دليل شرعي يخالف ذلك القول، أو يبين أن هناك بشرًا خُلق قبل آدم عليه السلام، كما لا تتعارض هذه الحقيقة مع العقل البشري، بل هو تسلسل منطقي يألفه العقل بخلاف الترهات الأخرى.

الوجه الثاني: إن قول الملائكة في قوله تعالى: +قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ_ [سورة البقرة:٣٠]، لا يدل على وجود بشر سابقين لآدم ﷺ، ولم يفسر أحد من السلف هذه الآية بوجود بشر قبل آدم، وإنما ما قاله المفسرون في معنى هذه الآية يعود إلى ثلاثة أمور:[3]

الأمر الأول: إن الملائكة قاسوا هذا الخلق على ما كان عليه حال الجن من الإفساد وسفك الدماء.

الأمر الثاني: إن الملائكة فهموا أن هذا ما سيكون عليه حالهم من معنى الاستخلاف، إذ الخليفة المقصود منه الإصلاح وترك الفساد.[4]

---

(1) انظر: المطهر المقدسي، البدء والتاريخ، ٥٧/٢

(2) انظر: محمد الحلي، الكون والقرآن، ص ٩٥.

(3) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢٧٤/١؛ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢١٦/١.

(4) انظر: البغوي، معالم التنزيل، ١٠٢/١؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢٧٤/١؛ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢١٦/١.

الأمر الثالث: إن الله تعالى أخبرهم بما سيكون عليه بعض من ذرية آدم، أو بما فهموه من الطبيعة البشرية؛ كونهم مخلوقون من تراب .[١]

وعليه، فالآية لا تدل على سبق بشر لآدم ، كما أن الملائكة لا تقول إلا بعلم أعلمت به. وقولهم هذا كان استفهاما لا اعتراضا.[٢]

الوجه الثالث: إن الحفريات القديمة التي تعود لأكثر من مليون سنة، وإن كانت قريبة الشبه بالإنسان، لا تدل بالضرورة على وجود بشر على الأرض قبل آدم عليه السلام؛ لأنه لا يمكن للحفرية والآثار أن تثبت أن هذا المخلوق هو إنسان في الأصل، إلا عن طريق علم الوراثة بفحص الشفرة الوراثية الموجودة في نواة الخلايا، وهذه بطبيعة الحال قد تحللت، فلا يمكن الجزم بأن الحفرية تعود لإنسان، بل قد تكون لمخلوق قريب الشبه بالإنسان مثل بعض القرود، وبذلك فإنها لا تصحُّ دليلًا قاطعًا في هذا القول[٣].

الوجه الرابع: إن لفظي بشر وإنسان مدلولهما واحد، ولا فرق بينهما في المعنى اللغوي[٤]، كما قد ورد اللفظان في القرآن الكريم للدلالة على جنس واحد، حيث كلا اللفظين يحمل نفس الصفات، بداية من مراحل الخلق من ذلك قوله تعالى: +وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ_ [سورة الحجر:٢٨]، وقوله تعالى: +خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ_ [سورة الرحمن:١٤]، وكل من البشر والإنسان مخاطب ، مما يدل على أن لكل منهما الإدراك والفهم والتكليف، من ذلك: قوله تعالى: +نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ_ [سورة المدثر:٣٦]، وقوله تعالى: +قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ_ [سورة عبس:١٧]، وبذلك لا يصح التفريق بين لفظي البشر والإنسان لإثبات وجود بشر قبل آدم عليه السلام، إذ لا فرق بين اللفظين: البشر والإنسان.

وعلى هذا؛ فإن آدم هو أبو البشر جميعًا، وهو أصلهم الذي يعودون إليه، هذا ما جاء به القرآن وما يتضح من خلال آياته الكثيرة في هذا الشأن.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد: فقد كان هذا البحث دراسة في "الآيات الكونية في ظل الشريعة الإسلامية"، ورد فيه عرض الآيات الكونية، وفق منهج أهل السنة والجماعة، وفيما يلي أهم نتائج البحث:

---

(١) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٤٠٢/١؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢٧٤/١؛ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢١٦/١.

(٢) انظر: الطبري، جامع البيان، ٤٩٩/١.

(٣) انظر: أحمد شوقي, موسوعة الإعجاز العلمي، ٣٣/٢.

(٤) انظر: أحمد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ٢٠٧/١.

١-إن مفهوم الخلق في القرآن الكريم لا يقتصر على مجرد الإيجاد من العدم, بل يشمل التقدير المحكم، والتسوية التامة، والتصوير , وقد يدل على المخلوق.

٢-بيان تنوع الدلالات العقدية في الآيات المتعلقة بخلق الإنسان.

٣-إن أصل خلق الإنسان يرجع إلى آدم ﷺ، والذي خلقه الله تعالى بديه الكريمتين من تراب الأرض.

٤-التدرج في ذكر أطوار الخلق في القرآن الكريم, دليل على سعة علم الله تعالى وحكمته، فلم يخلق الإنسان مصادفة أو تطوراً عشوائيا.

٥-إن آيات خلق الإنسان جاءت لتأسيس توحيد الألوهية، كما قررت توحيد الربوبية، متضمنة دلالات واضحة على أسماء الله وصفاته كصفة العلم والحكمة والقدرة، مما يجعلها أساساً في بناء المعرفة العقدية بالله تعالى.

٦-إن ربط خلق الإنسان بمآله الأخروي في مواضيع متعددة من كتاب الله تعالى، واقترانه بالإيمان باليوم والآخر ,وما يتصل به من حساب وجزاء، يؤكد على أن الغاية من الخلق هي تحقيق العبودية لله تعالى.

التوصيات:

- الاهتمام بدراسة البعد العقدي للآيات المتعلقة بالإنسان فهي وسيلة إلى زيادة الإيمان بالله تعالى، ووسيلة إلى تحصيل العلوم الدينية والدنيوية.

وبعد، فالحمد لله تعالى على إتمام هذا البحث، ونسأله عزّ وجل الله أن يتقبّل العمل, و يتجاوز عن الزلل، وأن يجعله حجة لنا لا علينا، وآخر دعوانا أن الحمدلله ربَّ العالمين, وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المراجع

- إبراهيم، أحمد شوقي, موسوعة الإعجاز العلمي في الحديث النبوي، ط١(القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر، ٢٠٠٣م).
- ت د, تفسير أسماء الله الحسنى،تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، ط د(الأردن: دار الثقافة العربية).
- (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م).معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، ط١ (بيروت: عالم الكتب).
- الأصبهاني، أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط د(مصر: مطبعة السعادة,١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م).
- الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، ط١(الرياض: مكتبة المعارف,١٤١٢ هـ = ١٩٩٢ م).
- الألوسي، شهاب الدين السيد محمود, روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ضبط: علي عطية، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥ هـ =١٩٩٤ م).

- آمال صادق, وفؤاد أبو حطب، نمو الإنسان من مرحلة الجنين إلى مرحلة المسنين، ط٤(مصر: مكتبة الأنجلو المصرية، ت د).
- البار، محمد علي, خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ط٨ (جدة: دار السعودية, ١٤١٢هـ = ١٩٩١م).
- البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري, تحقيق: مصطفى ديب البغا، ط٥ (دمشق: دار ابن كثير، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م).
- البغوي, الحسين بن مسعود,
- (١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م)شرح السنة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش، ط٢(دمشق: المكتب الإسلامية).
- (١٤٢٠هـ) معالم التنزيل في تفسير القرآن, تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط١ (بيروت: دار إحياء التراث العربي).
- البيهقي، أحمد بن الحسين، الأسماء والصفات،تحقيق: عبد الله الحاشدي، ط١ (جدة: مكتبة السوادي،١٤١٣هـ = ١٩٩٣م).
- الترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الكبير (سنن الترمذي)، تحقيق: بشار عواد معروف، ط د (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٦م).
- ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم،
- (١٤١٩هـ =١٩٩٩م)الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: علي بن حسن وعبد العزيز بن إبراهيم وحمدان بن محمد، ط٢(السعودية: دار العاصمة).
- (١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م) العقيدة الواسطية، تحقيق: أشرف بن عبد المقصود، ط٢(الرياض: أضواء السلف).
- (١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م) مجموع الفتاوى،تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم, ط د (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف).
- الثعلبي,أحمد بن محمد, الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: أبي محمد بن عاشور، ط ١ (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ = ٢٠٠٢ م).
- الجوهري الفارابي، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عطار، ط٤ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م).
- الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله, المستدرك على الصحيحين,تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية،١٤١١ هـ= ١٩٩٠م).
- الحلي، محمد علي, الكون والقرآن، ط١(بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١٠م).
- داروين، تشارلز، أصل الأنواع, ترجمة: إسماعيل مظهر، ط د(المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي، ٢٠١٨م).
- الراغب الأصفهانى، الحسين بن محمد, المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان الداودي، ط١(دمشق: دار القلم، ١٤١٢ هـ).
- الزَّبيدي, محمّد مرتضى, تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: جماعة من المختصين، ط د (الكويت: وزارة الإرشاد والأنباء, ١٤٢٢ هـ = ٢٠٠١ م)
- الزركلي، خير الدين بن محمود، الأعلام، ط١٥(ب د: دار العلم للملايين, ٢٠٠٢ م).
- الزَّيْدَانيُّ، الحسين بن محمود, المفاتيح في شرح المصابيح، تحقيق: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، ط١(الكويت: دار النوادر، ١٤٣٣ هـ = ٢٠١٢ م).
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الدر المنثور، ط د (بيروت: دار الفكر, ت د).

- شاهين، عبدالصبور , أبي آدم قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة, ط٢(مصر: دار أخبار اليوم، ت د).
- الشريف، عدنان, من علم الطب القرآني، ط١ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٠م).
- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار،
- (١٤٤١هـ – ٢٠١٩ م) العذب النّمير من مجالس الشّنقيطيّ في التّفسير، تحقيق: خالد بن عثمان السب، ط٥ (الرياض: دار عطاءات العلم).
- (١٤٤١ هـ – ٢٠١٩ م) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ط٥(الرياض: دار عطاءات العلم).
- الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير , ط١ (دمشق: دار ابن كثير، ١٤١٤ ه).
- الصغير,حصة بنت عبد العزيز، إفراد أحاديث اسماء الله وصفاته، إشراف: علي عبد الفتاح,(رسالة: دكتوراة، كلية التربية للبنات بمكة المكرمة – قسم الدراسات الإسلامية – تخصص الحديث وعلومه، ١٤١٧ هـ = ١٩٩٦م).
- الصنعاني, عبد الرزاق بن همام, المصنف، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي, ط٢(الهند: المجلس العلمي، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م).
- الطبري, محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن, ط د (مكة المكرمة: دار التربية والتراث، ت د).
- طنطاوي، عرفة,معالم التوحيد في فاتحة الكتاب، ط٢ (ب د: دار المأثور، ١٤٤١هـ = ٢٠٢٠ م).
- ابن عثيمين، محمد بن صالح،
- (١٤٠٧ – ١٤٣٨ هـ)مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب: فهد السليمان، ط١(الرياض: دار الوطن).
- (١٤٢٣ ه)تفسير الفاتحة والبقرة,ط١(المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي).
- (١٤٣٥هـ) تفسير القرآن الكريم «سورة آل عمران»، ط٣(المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي).
- (١٤٣٦ هـ) تفسير القرآن الكريم «سورة السجدة والعنكبوت وسبأ»، ط١ (المملكة العربية السعودية: مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية).
- العقيلي المكي، محمد بن عمرو، الضعفاء الكبير، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، ط١ (بيروت: دار المكتبة العلمية، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م).
- عمر، أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط١(الرياض: عالم الكتب، ١٤٢٩ هـ= ٢٠٠٨ م).
- العمرو، آمال بنت عبد العزيز,الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية, ط د(ب ن د).
- فياض،محمد، إعجاز آيات القرآن في بيان خلق الإنسان، ط ١(القاهرة: دار الشروق، ١٤٢٠هـ = ١٩٩١م).
- الفيروزآبادى، محمد بن يعقوب, بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد النجار, (القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٤١٦ هـ = ١٩٩٦ م).
- الفيومي، أحمد بن محمد, المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ط د (بيروت: المكتبة العلمية، ت د).
- القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢

(القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤م).
- القزويني، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة,تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط د (دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).
- ابن القيم الجوزية,محمد بن أبي بكر،
- (ت ١٣٧٨ هـ)التبيان في أقسام القرآن, تحقيق: محمد حامد الفقي، ط د (بيروت:دار المعرفة).
- (ت د)مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة, ط د(بيروت: دار الكتب العلمية).
- كحالة, عمر رضا، معجم المؤلفين,ط د(بيروت: مكتبة المثنى, ت د).
- كرم، يوسف بطرس, تاريخ الفلسفة الحديثة،ط٥(ب د: مكتبة الدراسات الفلسفية، ت د).
- كولن، محمد فتح الله, حقيقة الخلق ونظرية التطور ,المترجم: أورخان محمد، ط٢ (القاهرة: دار النيل, ١٤٢٦هـ=٢٠٠٦م).
- المالكي، مكي بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، تحقيق: مجموعة من الباحثين بجامعة الشارقة، ط١(الشارقة: جامعة الشارقة، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م).
- الماوردي، علي بن محمد، النكت والعيون، تحقيق: ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، ط د (بيروت: دار الكتب العلمية، ت د).
- المباركفوري، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، ط د (بيروت: دار الكتب العلمية، ت د).
- المقدسي,المطهر بن طاهر، البدء والتاريخ, ط د(باريس: أرنست لرُو الصَحّاف،١٨٩٩ - ١٩١٩م).
- المكي القرشي، مجاهد بن جبر, تفسير مجاهد، تحقيق: محمد أبو النيل، ط١ (مصر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م).
- ملكاوي، محمد أحمد، عقيدة التوحيد في القرآن الكريم, ط١(ب د: مكتبة دار الزمان، ١٤٠٥هـ =١٩٨٥م).
- المؤلف: أبو داود السجستاني، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل، ط١(ب د: دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م).
- النسائي، أحمد بن شعيب، الضعفاء والمتروكون، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، ط ١(حلب: دار الوعي، ١٣٩٦هـ).
- النووي، يحيى بن شرف، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط٢ (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ).
- الواحدي، علي بن أحمد، التفسير البسيط، تحقيق: رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ط ١(الرياض: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٠هـ).
- يحيى, هارون,معجزة خلق الإنسان، ط د (ب ن د).
- ابن الأثير الجزري, المبارك بن محمد, النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي, ط د (بيروت:المكتبة العلمية, ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م).
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي, نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر,تحقيق: محمد عبد الكريم الراضي، ط١ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م).
- ابن حنبل، أحمد بن محمد, العلل ومعرفة الرجال، تحقيق: وصي الله عباس، ط٢ (الرياض: دار الخاني، ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١ م).
- ابن عاشور التونسي، محمد الطاهر بن محمد,التحرير والتنوير, ط د (تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤ هـ).

- ابن عطية الأندلسي,عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، ط١(بيروت: دار الكتب العلمية, ١٤٢٢هـ).
- ابن كثير القرشي، إسماعيل بن عمر, تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ط٢(الرياض: دار طيبة, ١٤٢٠ هـ = ١٩٩٩ م).
- ابن معين، يحيى، التاريخ، تحقيق: أحمد محمد نور, ط١(مكة المكرمة: مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، ١٣٩٩هـ =١٩٧٩م).
- ابن منظور الأنصاري، محمد بن مكرم، لسان العرب، ط٣ (بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ).
- أبو الحسين النيسابوري، مسلم بن الحجاج, صحيح مسلم،تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط د (القاهرة:مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٧٤ هـ – ١٩٥٥ م).
- أبو السعود العمادي، محمد بن محمد، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ط د (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ت د).
- أبو الليث السمرقندي، نصر بن محمد، بحر العلوم، ط د (ب ن د).
- أبو حيان الأندلسي, محمد بن يوسف، البحر المحيط، عناية: صدقي العطار وزهير جعيد وعرفان العشا حسّونة، ط د(بيروت: دار الفكر, ١٤٢٠ هـ = ٢٠٠٠ م).
- الأزدي البلخي، مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله شحاته، ط١ (بيروت: دار إحياء التراث, ١٤٢٣هـ).